بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب تبيانا لكل شيئ ، وأكمل للناس دينهم وأتم عليهم نعمته ، إذ بعث فيهم رسوله بالهدى ودين الحق ، فأوضح لهم معالمَ الرّشادِ وهداهم سبلَ السلام ، ووضح لهم الحلال والحرام ، فتركهم على المحجةِ البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلّا هالك .

وأشهد ألّا إلٰه إلّا الله وحده لاشريك له المتفرد بالألوهية والربوبية وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، سيد ولد آدم أكرمُ بِهِ وأنعِمْ من رسولٍ أدى الأمانةَ وبلّغ الرسالةَ ونصح الأمّةَ وجاهد فى الله حق جهاده صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن نهجَ مَنَاهِجَهم وترسمَ خطاهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإنّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ـ وإنما ورّثُوا العلمَ فمن أخذ بشئ منه أخذ بحظ وافر ، فكان العلماء ورثة الأنبياء اقتبسوا من نور الأنبياء فأضاءوا للناس دنياهم وكانوا مصابيحَ هداية للبشرية جمعاء ، ولذلك أمر الله الخلق بالرجوعِ إليهم فقال عزّ مِنْ قائل : (فاسألوا أهلَ الذكرِ إنْ كنتم لا تعلمون) .

وما ذاك إلّا لأنهم أخبرُ بمعالم الهدى وأعرفُ بمسالك الشرع وأدرى بالحلال والحرام .

ولما كان علم أصول الفقه هو النافذةُ المطلة على معرفة الحلال والحرام ، والآلةُ المعينةَ على استنباط الأحكام ـ تعيّنَ على من رام تحصيلَ شيئ من العلم الاشتغال به والوقوف على قواعده ومعرفة تفاصيله ، ولما كان الإمام الشافعىّ هو أول من دونه ـ بعد أن كان سليقة للمجتهدين وقواعد يتوارثها فحول العلماء

من غير تدوين ـ كانت العناية بتأليفات الشافعية فى غاية الأهمية ، وعلى رأس هذه المصنفات كتب الفخر الرازى التى جمعت ماحوته كتب إمام الحرمين والغزالى وأبى الحسين البصرى .

ولما كان الرازى قد صنف المحصول ثم اختار منه المنتخب ، ثم أراد بعد ذلك أن يتناول المواضيع الأساسية لهذا العلم ، ويلقى الضوء عليها لتكون نبراساً للدارسين لهذا الفن ومعالم يهتدى بها الباحثون فيه ، فدون كتابه المعالم فى أصول الفقه كانت العناية بتأليفاته فى الذروة القصوى من الأهمية وخاصة كتابه المعالم .

ولما كان ابن التلمسانى قد انتدب نفسه لإيضاح هذا المصنف وبيان مشكله وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه ، وأضاف إليه مسائل متفرقة كانت فى نظره متممة لما نقص منه ومكملة لموضوعه ، كانت العناية بشرحه المسمى الإملاء على المعالم لا تقل عن العناية بأصله ومتنه . ومن ثم وجدت الرغبة فى تحقيقه سبيلها إلى نفسى ميسراً ، والطريق إلى ميولى ممهداً .

أسباب اختيارى لهذا البحث :

من المعلوم أن على كل طالب أن يقدم أطروحة أو بحثا أو كتابا يحققه لمجلس الكلية كى يجيزه ويمنحه عليه الدرجة العلمية التى يستحقها .

وقد ذاع فى أوساط الطلاب المقولة المشهورة التى صدرت عن العلامة خاتمة المحققين المرحوم المغفور له الأستاذ عبد الغنى عبد الخالق الا وهى قوله : (إن كل تحقيق فى أصول المالكية يعتبر فتحاً فى عالم التحقيق) ، فلما رأيت عند الأخ الفاضل الدكتور حمزة حافظ هذه المخطوطة وكنت أحسب أن ابن التلمسانى مالكى المذهب حدثت نفسى بأن أكون من أهل الفتوحات إلى جانب مافى ذلك من الوقوف على أصول المذهب المنتشر ببلادى الا وهو المذهب المالكى ..

فعرض على الدكتور حمزة مشكوراً المايكروفيلم ، وأهدانى نسخة منه وكان هو قد شرع فى تحقيق تنقيح محصول ابن الخطيب للتبريزى ، فجزاه الله خير

الجـــزاء ، ثم بدأت أنقـب فى تراجـم المالكيـة عن ابن التلمسانى فلـم أقف لـــه على أثـر ، فلمّـا أعيـانى البحـث نظـرت فى الأعـلام ومعجم المؤلفين فعلمت أنـى أردت عسراً وأراد الله خارجة وكدت أن أغير موضوعى فنصحنى أستاذى الدكتـــور العـــروسى ــ جزاه الله خيراً ــ بالاستمرار فيه ، وأرجو أن يكـون الله قد أراد بـى خيـــراً إنـه حكيـم حميـد حليـم ودود ، وعلى مايشـاء قدير فرضيت بما قسم اللـــه ومضيت فى مهمة التحقيق .

وهناك دوافـع خفيـة أخـرى لا أرى بأســاً فى الإشـارة إليها منها :

أولا : اسـم (المعـــالم) فإن لـه وقعـاً خاصـا فى نفوس المسلمين المعاصـرين ، وذلك لأن الكتـاب الذى حوكم من أجلـه شهيد الإسلام ــ إن شاء الله ــ ســـــيد قطـب بالاعـدام يحمـل اسـم (معالم فى الطريق) ،

وإنّـا نسـأل اللـه أن يجعـل بيت آل قطـب وبيـوتنا كذلـك من بيوت الإيمان كمـا قال ابن مسعود رضى الله عنه : (إن للإيمـان بيوتاً .... وإن بيت بـــنى مقـــرن من بيـوت الإيمان) .

فالمـرء يجـد نفسـه مشـدوداً نحـو اسـم (المعالم) من حيث لايشـــعر ودون أن يحـس بذلـك .

وثانيـا : اسـم (ابن التلمسـانى) فقـد اقترن هو الآخـر باسـم الداعيـــة المصـرى المغفـور لـه الاسـتاذ عمـر التلمســانى الذى ثبّته الله على طـــريق الدعـوة يصـابر الحكّـام ، ويغالب السجن فى سـبيل اللـه ضارباً المثـــل الأعـلى فى الحلـم والصفـح عن الأعـداء ــ رحمـه اللـه ــ وذلك أيضا يمكـــن أن يكـون دافعـاً خفيـاً يجعـل النفس تركن إلى تحقيـق هـذه المخطـوطة الـتى نرجـو الله أن ينفعنـا بهـا .

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد :

((تمهيد)) :

فإن ابن تلمسانى إذا صافح ذهنك تبادرت لك من سماع اسمه لأول وهلة تصورات ، لاتلبث أن تتلاشى عند إعمال الذهن فيها ، وبعد التحرى والتدقيق والفحص العميق ، ولولا ما تقرر عند الأصوليين واللغويين من أن التبادر أمارة الحقيقة ، لقلت غير ذلك ، ألم يقل الشاعر متهما لما يتبادر للذهن لأول وهلة :

ترى الرجل النحيف فتزدريه ∴ وفى أثوابه أسد هصور

ويعجبك الطمرير إذا تراه ∴ فيخلف ظنك الرجل الطمرير

ولكن لنترك المكابرة ولنقرر الأصل وهو أن التبادر أمارة الحقيقة ، ولنبين أن غير المتبادر إنما كان ملفتاً للنظر لفرط ندرته ، ألم يقل ربنا عز وجل فى وصف المنافقين : (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة)(١) الآية .

وذلك لأن الأصل هو أن الأجسام الكاملة تستلزم كمالات أخرى ولكن المنافقين على العكس من ذلك لهم أجسام البغال وأحلام العصافير .

أما ابن التلمسانى رحمه الله فإنه يتبادر لك أنه من تلمسان البلد الجزائرى وكذلك قد يدور بخلدك أنه مالكى المذهب ، وقد يخطر ببالك أنه التلمسانى الذى رمى بالزندقة ، ولكن كل ذلك أو أكثره لا يثبت أمام البحث ، فقد عاش الرجل فى مصر ولم يعش فى الجزائر كما أنه شافعى المذهب وليس هو بالمالكى ، وهو غير التلمسانى المتصوف ، فقد ذكر عمر رضا كحالة فى كتابه معجم المؤلفين أكثر من خمسة وعشرين رجلا يحملون اسم التلمسانى اما المتصوف منهم فهو عفيف الدين سليمان بن على بن عبد الله بن على الأديب أحد الزنادقة

---

(١) سورة المنافقون ، الآية ٤ .

وقيل: إنه كان يقول : نكاح الأم والبنت والأجنبية واحد ، وإنما المحجوبون هم الذين قالوا : إنه حرام عليهم فقلنا لهم :حرام عليكم (١) . وكان يترسم خطى شيخه وجده لأمه ابن سبعين . وقد شدد أبو حيان التوحيدي النكير على ابن التلمساني وسبه وسب جده ابن سبعين بسباب مقذع ، فارجع اليه ان شئت في شذرات الذهب .

وكان العفيف التلمساني وجده ابن سبعين ممن رمي بالقول بوحدة الوجود ، وهي فلسفة تقول بأن الله واحد يظهر في أشكال متعددة ، وكل شيء هو الله ، وهي كفر صراح لامراء فيه باتفاق جمهور أهل السنة والجماعة ، وتفارق الحلول في أن الحلول فيه شيء أعلى يحل في آخر أسفل والكل كفر والعياذ بالله .

أما شرف الدين بن التلمساني شارح المعالم فهو بريء من ذلك كله . وليس هو أيضا التلمساني صاحب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب لأن ذلكم هو العلامة أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة ١٠٤١هـ.

وقصارى القول في شارح المعالم إنه ابن التلمساني الذي نادرا مايقرع سمعك اسمه ، ولكي تتعرف عليه لابد لك من النظر في ترجمته الآتية قريبا ان شاء الله تعالى .

---

(١) ـ انظر شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٤١٢ .